

« علوم القرآن »



« الأحرف السبعة »

روى البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب قوله: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقلت كذبت، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة «الفرقان» على حروف لم يقرئها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أرسله. أقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كذلك أنزلت، ثم قال: أقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه⁽¹⁾.

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف مما يقطع الشك بصحة سنده، ويؤكد تواتره أن هذا الحديث «رواه جمع من الصحابة: أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمر بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبو بكرة، وأبو جهم، وأبو سعيد الخدري، وأبو طلحة الأنصاري، وأبو هريرة، وأبو أيوب، فهؤلاء واحد وعشرون صاحبياً، وقد نص أبو عبيد، على تواتره»⁽²⁾.

¹ - صحيح البخاري 185/6.

² - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن 100/1.

واختلف العلماء في المقصود من «الأحرف السبعة» في هذا الحديث اختلافاً كبيراً، على خمسة وثلاثين قولاً، منها⁽³⁾:

- 1- إنها من المُشكِّل الذي لا يُدرى معناه: لأنَّ العرب تسمِّي الكلمة المنظومة حرفاً، وتسمِّي القصيدة بأسرها كلمة، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة. والحرف أيضاً المعنى والجهة. فالحديث من المُشكِّل الذي لا سبيل إلى معرفة المقصود منه، فهو شبيه بمتشابه القرآن.
- 2- إنها القراءات السبع. وهذا الرأي من أضعف الآراء؛ لأنَّ اختلاف القراء إنما كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نُزِّل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان بن عفان عليه المصحف. وقال ابن الجزري: «لا يجوز أن يكون المراد من الأحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظنه بعض العوام، لأنَّ هؤلاء السبعة لم يكونوا خُلِّقوا ولا وُجِدوا، وأوَّل من جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد في أثناء المئة الرابعة»⁽⁴⁾.
- 3- سبعة أنواع من التعبير: أمر ونهي، ووَعْدٌ ووَعْدٌ، وقصص، وحلال وحرام، ومُحكَّم ومُتشابه، وأمثال، وغيره.
- 4- سبع لغات من لغات العرب، أي إنَّ في القرآن سبع لغات متفرقة. واختلفوا في هذه اللغات، فقليل: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن. وقيل: خمس لغات في أكناف هوازن، وهي: سعد، وثقيف، وكنانة، وهذيل، وقريش، ولغتان على جميع ألسنة العرب.
- 5- الأوجه السبعة من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة، نحو: أقبل، وهلمَّ، وتعال، وعَجِّلْ، وأسرع... فالأحرف السبعة هي التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة. والمراد بـ«السبعة» هنا، ليس التحديد، وإنما الكثرة.
- 6- أوجه الإعراب المختلفة في الآية الواحدة، مثل قوله تعالى: ﴿ أَفِي لَكُمُ ﴾ (الأنبياء: ٦٧)، فهذه تُقرأ على سبعة أوجه: بالنصب والجرّ والرفع، وفي كلِّ وجه يجوز التنوين وغيره، وسابعها الجزم.
- 7- هي: علمُ الإثبات والإيجاد، وعلمُ التوحيد، وعلمُ التنزيه، وعلمُ صفات الذات، وعلمُ صفات الفعل، وعلمُ العفو والعذاب، وعلمُ الحشر والحساب، وعلمُ النبوات، وعلمُ الإمامات.
- 8- هي: المطلق والمقيّد، والعامّ والخاص، والنصّ والمؤوَّل، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسَّر، والاستثناء وأقسامه.

³ - الإتيان في علوم القرآن 107/1 - 109؛ والبرهان في علوم القرآن 213/1 - 226.

⁴ - ابن الجزري: النشر في القراءات العشر 24/1.

- 9- هي: الحذف والصلة، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار، والكناية، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمفسر، والظاهر والغريب.
- 10- هي: التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف والإعراب، والأقسام وجوابها، والجمع والتفريق، والتصغير والتعظيم، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى، وما لا يختلف في الأداء واللفظ جميعاً.
- 11- هي: طرائق التلاوة من إظهار وإدغام، وتقخيم، وترقيق، وإمالة، وإشباع، ومدّ، وقصر، وتخفيف، وتليين، وتشديد.
- 12- هي: أنواع المبادلات والمعاملات عند الصوفيّة، وهي الزهد والقناعة مع اليقين، والحزم والخدمة مع الحياء، والكرم والفتوة مع الفقر، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف، والرجاء والتضرّع والاستغفار مع الرضا، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة، والشوق مع المشاهدة.
- 13- ...

وأقرب الآراء إلى الصحة هو الرأي القائل إنّ المقصود بالأحرف السبعة هو سبع لغات (أي: لهجات) للقبائل العربيّة. وأغلب الظنّ أنّ الصحابة اختلفوا في قراءة بعض آيات القرآن، فاحتكموا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فأقرّ المتنازعين على قراءاتهم، وذكر لهم أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف.

والسرّ في إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس، لقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ

لِلذِّكْرِ﴾ (القمر: ١٧).

